

مغول إيران بين السنة والشيعة في عهد أولجايتو

(703-716هـ/1303-1316م)

الأستاذ: عبد النبيل براني

جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة

الملخص :

كانت إيران و العراق التي تكونت منهما إيلخانية مغول إيران بلادا إسلامية ساد فيها مذهب أهل السنة والجماعة متمثلا في الحنفية و الشافعية مع وجود للمذهب الشيعي الإمامي الاثني عشري والمذهب الإسماعيلي الباطني في مراكز ضيقة في إيران و العراق .

ولقد سبب الاجتياح المغولي بقيادة هولاكو دامرا كبيرا طال الناحية العمرانية و الإقتصادية وأثر كثيرا في الناحية الإجتماعية ،فانتشر الخوف والرعب. و لما هدأت عاصفة الاجتياح وبدأ المغول في الاندماج في المحيط الإسلامي الجديد برز التنافس بين السنة و الشيعة لاستقطاب هؤلاء المغول بصفتهم الحكام للبلاد ، و استعملت في هذا التنافس وسائل متعددة ، كما أن مواقف إيلخانات المغول من المذهبين اختلفت حسب الظروف الداخلية والخارجية التي كانت تمر بها الإيلخانية... ولقد كان التسامح مع الأديان و المذاهب الذي اتبعه المغول وخاصة بعد تحولهم إلى الإسلام عاملا مهما أدى إلى انتعاش مذهب الشيعة و استفادته من عطف ورعاية الإيلخانات حتى اعتنقه في نهاية المطاف السلطان أولجايتو وحاول فرضه في إيران و العراق ...

Abstract:

The Mongol invasion caused devastation which affected the urban and economic aspects and affected many social areas, spreading fear and terror. As the storm of the Mongol invasion subsided and the Mongols began to integrate into the new Islamic environment , the rivalry between the Sunnis and Shiites emerged to attract these Mongols . And used in this competition multiple means to win the Mongols of the two sects differed according to the internal and external circumstance in which the Ilkhani was passing . Tolerance to the religions and sects followed by the

Mongols , especially after their conversion to Islam was an important factor that led to the revival of the Shi'a doctrine benefited from the sympathy and care of the Alikhanat , despite their conversion to sunni Islam .

الكلمات المفتاحية : مغول ، إيلخانيون ، إيران ، مذاهب ، سنة ، شيعة

مقدمة :

يعتبر هولوكو هو مؤسس إيلخانية المغول في إيران ، لكن هذه الدولة الناشئة استكملت معالمها السياسية والحضارية في عهد خلفائه من بعده ، فقد وجد هؤلاء أنفسهم أمام تحديات كان أهمها وأخطرها تواجد الأقلية المغولية الحاكمة بموروثها الديني الوثني و الثقافي البدائي في وسط إسلامي يتميز برقيه الديني والثقافي والحضاري، وبات من المؤكد أن الإسلام سيتمكن من احتواء المغول و تهذيبهم فأقبلوا عليه وتبنوا تعاليمه و مبادئه ، و تعرفوا على مذاهبه المتمثلة في مذهب السنة وهو مذهب غالبية سكان إيران والعراق و مذهب الشيعة ، و التنافس بينها على استقطاب هؤلاء المغول الحاكمين.

كان اعتناق غازان للإسلام بداية لعهد الإيلخانات المسلمين ، فمنذ غازان لم يحكم إيران حاكم غير مسلم كما كان إسلامه بداية للصراع بين السنة و الشيعة لاستقطاب المغول ، و كان هذا الصراع شديدا طيلة عهده ثم عهد خلفه أولجايتو الذي اعتنق في نهاية المطاف المذهب الشيعي الإمامي الاثني عشري وحاول فرضه في إيران و العراق.

و يهدف المقال إلى تسليط الضوء على هذه الناحية من التاريخ الثقافي و الاجتماعي للمشرق الإسلامي بعد العهد العباسي ، و يطرح إشكال الصراع بين السنة و الشيعة لاستقطاب المغول و الوسائل المستعملة فيه ، و موقف الإيلخان أولجايتو من المذهبين ، وأخيرا نتائج هذا الصراع وتأثيره على سياسة هذا الإيلخان. و أعتمد المقال على مقارنة الروايات التاريخية وكذلك مناقشة آراء الباحثين في محاولة لإظهار حقيقة الموضوع.

1- أولجايتو :

أولجايتو هو الابن الثالث لأرغون خان ، ولد سنة 680هـ-1281م بين مرو وسرخ⁽¹⁾ في منطقة ليس فيها ماء ، وعند ولادته أمطرت السماء و أستمروا الهطول سبعة أيام فاعتبروا قدومه مباركا و سموه أولجايتو ، ثم غيروا إسمه بعد مدة إلى تمورلان على عادة المغول في تغيير أسماء أولادهم في كل مدة حماية لهم من العين ، و بعد مدة سموه خدابنده⁽²⁾ ثم تحول إلى خربنده ، و لهذا الاسم عدة تفسيرات. فخدابنده معناها عبد الله لأن خدا بالفارسية معناها (الله) و بنده معناها (غلام) أو (عبد) أما تفسير خربنده ف (خر) بالفارسية معناها الحمار ، و معنى الاسم عبد الحمار أو غلام الحمار ، و سبب التسمية هو أنه كان لدى المغول عادة تسمية المولود باسم أول داخل للبيت ، فصادف أن دخل ليلة مولد أولجايتو صاحب الحمار و في لغتهم يسمى خربنده⁽³⁾.

كما جاء أن سبب تسميته بهذا الاسم هو أن أباه كان كلما ولد له ولد مات في صغره، فأشاروا عليه باتخاذ اسم قبيح ، فلما ولد سماه خربنده⁽⁴⁾. و هناك تفسير آخر هو أن سبب تسميته خربنده كان لما توفي أبوه و هرب خوفا من غازان إلى شيراز و أختلط في نواحيها بالخربندكية و المكارين (والخربندكية والمكارون هم البغالون و الحمارون) فأطلق عليه لقب خربنده⁽⁵⁾. كما أن هناك رأي آخر يقول بأن الشيعة لقبوه بعد تشيعه خدابنده و حرفه السنة إلى خربنده استهزاء به

¹ سرخس : أقدم مدينة من نواحي خراسان ، كبيرة واسعة بين نيسابور و مرو وسط الطريق بينهما. الحموي شهاب الدين أبو عبد الله : معجم البلدان ، تحقيق فريد الجندي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1990 ، ج 3 ، ص 208

² الهمداني فضل الله رشيد الدين : جامع التواريخ ، تاريخ غازان خان ، ترجمة فؤاد الصياد ، الدار الثقافية للنشر ، القاهرة ، 2000 ، ص 78

³ ابن بطوطة أبو عبد الله محمد بن إبراهيم : تحفة النظائر في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار ، دار النفائس ، بيروت ، 1997 ، ص 207

⁴ ابن تغري بردي جمال الدين أبو المعاسن : النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف و الترجمة و الطباعة و النشر ، دت ، دت ، ج 9 ، ص 238

⁵ فتهي عبد السلام : الدولة المغولية في إيران ، دار المعارف ، القاهرة ، دت ، 1981 ، ص 215

لتشيعة⁽¹⁾. و تولى أولجايتو حكم إيلخانية مغول إيران سنة 703هـ-1304م و تلقب بغيث الدين⁽²⁾.

كان أولجايتو مسيحياً و عمدته والدته المسيحية في صغره و سمته نيقولا⁽³⁾. أما عن سبب إسلامه فيعود

إلى أنه تزوج في شبابه امرأة مسلمة لعبت دوراً في ترغيبه في الدين الإسلامي⁽⁴⁾ ، وأعلن إسلامه على المذهب الحنفي ، و بعد ثلاثة أيام من وصوله إلى عرش الإيلخانية أصدر مرسوماً بإقامة شعائر الإسلام و احترام كل القوانين و المراسيم و الأحكام التي أصدرها غازان فيما يتعلق بالدين الإسلامي⁽⁵⁾. و ما يدل على صدق إسلامه أنه جرد حملة عسكرية على جيلان لما علم أن أهلها يدينون بغير الإسلام⁽⁶⁾.

كان أولجايتو معظماً للخلفاء الراشدين و نقش أسماءهم على السكة⁽⁷⁾. و يعود اختيار أولجايتو للمذهب الحنفي منذ أن كان في خراسان استجابة إلى رغبة أئمة هذا المذهب الذي كان مذهب سلفه غازان ، ولما اعتلى أولجايتو عرش الإيلخانية قويت

¹ أشتياني عباس إقبال : تاريخ المغول منذ حملة جنكيزخان حتى قيام الدولة التيمورية ، ترجمة عبد الوهاب غلوب ، القاهرة ، 2000 ، ص 309

² المقرئزي تقي الدين أحمد بن علي : السلوك لمعرفة دول الملوك ، نشر محمد مصطفى زيادة ، لجنة التأليف و الترجمة و النشر ، دم ، 1939 ، ج 1 ، ص 395 ؛ ابن خلدون عبد الرحمان بن محمد : العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1992 ، ج 5 ، ص 549

³ أشتياني : نفس المرجع ، ص 309

⁴ كدرو أسعد : موقف المغول الإيلخانيين من العقائد و المذاهب الدينية من وفاة هولاكو إلى نهاية حكم أبي سعيد بهادرخان 663-736هـ/265-1335م ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، القاهرة ، 2009 ، ص 162 ؛ لم تذكر المصادر اسم هذه الزوجة المسلمة التي كانت سبباً في إسلام أولجايتو ، إلا أن المصادر تشير إلى السبب في إسلامه في نشر الإسلام في البلاط الإيلخاني . أنظر : أبو الفدا إسماعيل عماد الدين بن الأفضل : المختصر في أخبار البشر ، دار المعرفة ، بيروت ، دت ، ج 4 ، ص 50

⁵ أشتياني : المرجع السابق ، ص 309

⁶ جيلان : اسم لبلاد كثيرة من وراء بلاد طبرستان ، و ليس في جيلان مدينة ، إنما هي قرى و مروج مروج بين جبال ، و العجم يقولون جيلان . الحموي : المصدر السابق ، ج 2 ، ص 201

⁷ أشتياني : نفس المرجع ، ص 309

الحنفية رغم أنه كان بعيدا عن التعصب لمذهبه على حساب المذاهب الأخرى فتناول أتباع المذهب الحنفي على أتباع المذاهب الأخرى ، حتى أن وزير أولجايتو الهمذاني الشافعي المذهب عجز عن انتقاد الحنفية لأنه مذهب السلطان⁽¹⁾. ثم دخل أتباع المذهبين في مناظرات فقهية سنة 707هـ-1307م وأخذ كل فريق ينتقد مذهب الفريق الآخر. و حدث في يوم جمعة وفي حضور أولجايتو أن تحدث أحد الأحناف عن المخلوقة من ماء الزنا الموجودة في المذهب الشافعي على سبيل الاستهزاء بالشافعية ، فرد عليه أحد شيوخ الشافعية بأن هذه المسألة ليست في مذهب الإمام الشافعي ، و من باب جواب الفاسد بالفاسد فمذهبكم يجيز نكاح الأم والأخت، فلما أنكر عليه الأحناف وجود هذه المسألة في مذهبهم قرأ عليه الشافعي هذا البيت الموجود في المنظومة التي يعتبرها الأحناف أصح الكتب :

وليست في لواطه من حد ولا لوطئ الأخت من عقد

فقال أحد الأمراء المغول : ماذا فعلنا وقد تركنا ياسا جنكيزخان وتوجهنا إلى دين هؤلاء العرب الذي ينقسم إلى أقسام عديدة وتقوم بينهم الفضائح ، فأحدهما يجيز نكاح الأخت والآخر يبيح الزنا مع الأم والأخت ، لذا لابد لنا أن نرجع إلى ياسا و سنن جنكيزخان⁽²⁾.

حدثت هذه المناظرة في حضور أولجايتو ، ثم انتشر خبرها بين أمراء و أميرات المغول وقادة الجيش فتغيرت نظرتهم إلى أئمة المذاهب السنية ، حتى كانوا إذا مر بهم أحد من أصحاب العمام سألوه استهزاء من أي الطائفتين أنت ، أمن طائفة الأم أم من طائفة الأخت ؟⁽³⁾. و صادف أن قصفت الرعد في ليلة ماطرة فقتلت الصاعقة عددا من مرافقي أولجايتو فقالوا له أن هذا شؤم الإسلام والمسلمين ونصحوه أن يترك الصلاة ويعطل الأذان فتركهما مدة ثلاثة أشهر⁽⁴⁾.

¹ الهمذاني فضل الله رشيد الدين : جامع التواريخ ، ترجمة صادق نشأت و فؤاد الصياد ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، د.ت ، ص 202 ؛ الصياد فؤاد عبد المعطي : مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمذاني ، دار الكتاب العربي للطباعة و النشر ، القاهرة ، 1967 ، ص

² أشتياني : المرجع السابق، ص 314

³ نفسه

⁴ نفسه

2- تشيع أولجايتو :

تركت المناظرة بين الشافعية و الأحناف التي شهدها أولجايتو أثرا كبيرا عليه و على المغول ، و أظهرت مذهب أهل السنة و الجماعة في صورة غير مقبولة . و لم يكن باستطاعة أولجايتو أن يرتد عن الإسلام و يعود إلى المسيحية التي تربى عليها في طفولته ، أو إلى البوذية التي كان يعتنقها أباه و أجداده ، أو إلى الشامانية التي كان يعتقد بها جنكيزخان جده الأعلى . فغالبيت سكان مملكته مسلمون سنة ، و معظم المغول قادة و جندا كانوا قد اعتنقوا الإسلام منذ عهد أخيه غازان . وقد صدر عن أولجايتو ما يدل على أنه كان مترددا نادما على اعتناقه للإسلام : ((إننا قد تحملنا مجبرين منذ مدة الطاعات و العبادات في دين الإسلام الذي لا يمكن التحول عنه كلية))⁽¹⁾.

و في هذه الظروف ظهرت شخصية مغولية كان لها دور كبير في توجيه أولجايتو إلى مذهب الشيعة وهو الأمير المغولي الشيعي طرمطاز الذي نشأ في مدينة الري بين الشيعة ثم انتقل إلى بلاط غازان . ولقد أشار هذا الأمير على أولجايتو بالتحول إلى التشيع بقوله : ((إن غازان كان أفضل إنسان في عصره وقد فضل التشيع ، وسيكون حسنا أن يطرق خليفته نفس الطريق ، فيرتاح بذلك من شر العقائد القبيحة لمذاهب التسنن ، فأجاب السلطان : و ما هو التشيع ، قال طرمطاز : هو مذهب يعرف بالرفض، فصاح السلطان : أيها الشقي أتريد أن تجعلني رافضيا . فأجاب طرمطاز: إن التشيع مذهب يجعل السلطان محصورا في عائلة جنكيزخان أما التسنن فيعطي كل شخص حتى قواد جنكيزخان ورعاياه الحق في الوصول إلى هذا المقام الرفيع))⁽²⁾. و من هذه الرواية يمكن تسجيل الملاحظات التالية :

- نلاحظ أن هذا الأمير المغولي ربط بدكاء بين التشيع كمذهب و بين قناعة المغول أن الحكم محصور في أسرة الإيلخانيين أحفاد هولاكو و جنكيزخان لا ينازعهم فيه أحد .

¹ الصيد : مؤرخ المغول ، ص 146

² أشتياني : المرجع السابق ، ص 315

- كما نلاحظ أنه تجنب بذلك أيضا الإشارة إلى أن التشيع يجعل الحاكم في حقيقة الأمر تابعا لصاحب الزمان (وهو المهدي المنتظر) و نائباً عنه في الحكم خلال غيبته ، وعليه أن يتنازل له عنه في حال ظهوره .
 واصل الأمير المغولي طرمطاز محاولة التأثير على أولجايتو لجعله يتحول إلى التشيع، وانظم إليه بعض علماء الشيعة وأئمتهم و شرعوا يفندون له مذاهب السنة ويزينون له تركها⁽¹⁾.

و كانت تنعقد المناظرات في حضرة أولجايتو بين علماء و فقهاء المذهبين السني والشييعي أثبت فيها فقهاء السنة عدم صحة ادعاءات فقهاء الشيعة بالحجج والبراهين⁽²⁾. و لكن و أمام إلحاح الشيعة وضغطهم الشديد ليتحول أولجايتو إلى مذهبهم الاثني عشري ، أقدم هذا الأخير على اتخاذ خطوة حاسمة و الخروج من حالة التردد ، فتوجه سنة 709هـ-1309م إلى العراق لقضاء الشتاء هناك ثم توجه جنوباً إلى النجف و زار مشهد الإمام علي بن أبي طالب ، و ادعى أنه رأى رؤيا تدعوه إلى تقوية الإسلام ففسرها له الشيعة على أنها دعوة إلهية إلى التحول إلى التشيع ، فأعلن أولجايتو رسمياً اعتناقه لمذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية ، و اقتدى به وتبعه في ذلك معظم الأمراء المغول⁽³⁾.

و لم تلبث أن ظهرت علامات التشيع في إيران نتيجة الإجراءات الصادرة بعد تشيع أولجايتو ومن هذه العلامات :

- إسقاط ذكر الخلفاء الراشدين الثلاثة أبي بكر و عمر و عثمان من الخطبة ، و الإبقاء على ذكر علي بن أبي طالب و الحسن و الحسين ، و بعد ذلك أضيف لهم ذكر أسماء بقية الأئمة الاثني عشر⁽⁴⁾.
- سب الصحابة على المنابر⁽⁵⁾.

¹ ابن تغري بردي : المصدر السابق ، ج 9 ، ص 238 : الصياد فؤاد عبد المعطي : الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين ، أسرة هولاكو ، الدوحة ، 1987 ، ص 311

² كدرو : المرجع السابق ، ص 162

³ فتهي : المرجع السابق ، ص 216 : الصياد : مؤرخ المغول ، ص 147 ، 148

⁴ القزاز محمد صالح داوود : الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية ، بغداد ، 1970 ، ص 103 : فتهي : المرجع السابق ، ص 216

⁵ ابن تغري بردي : المصدر السابق ، ج 9 ، ص 238

- زيادة عبارة حي على خير العمل في الأذان⁽¹⁾.

- حذف أسماء الخلفاء الراشدين الثلاثة من على السكة ، و حلت محلها أسماء الأئمة الاثني عشر وإضافة عبارة علي ولي الله على أحد وجهي العملة⁽²⁾.

3- نتائج تشيع أولجايتو :

كان لتشيع أولجايتو عدة نتائج دينية مذهبية وفكرية بل و حتى سياسية ، و يمكن تسجيل النتائج التالية :

أ- أدى تحول أولجايتو عن مذهب السنة و الجماعة إلى مذهب الشيعة الاثني عشرية إلى شعور أهل السنة و هم أغلبية المسلمين في الإيلخانية بكثير من الأسى ، كما زادت الإجراءات التي اتخذها في الأذان و الخطبة و السكة إلى مرارة هذا الشعور، على أنه لم يؤثر كل ذلك في محبتهم للصحابة و في مودتهم لأهل البيت و خاصة علي بن أبي طالب وأولاده⁽³⁾.

و في المقابل شعر الشيعة بالرضى و الزهو ، و قصد الكثير من علمائهم و شيوخهم مدينة السلطانية مقر إقامة أولجايتو حتى اكتظ بهم بلاطه و أصبحوا أغلبية حاشيته⁽⁴⁾. و مع ذلك فلقد أدرك الشيعة أن أولجايتو قد يعود إلى مذهب السنة مرة أخرى لأن أغلبية المسلمين في إيران و العراق كانوا سنة ، و كذلك كان الوزراء وكبار قادة الجيش . و لذلك بادر الشيعة إلى الالتفاف حول أولجايتو⁽⁵⁾ ، و كان من أبرز الشخصيات الشيعية التي لعبت هذا الدور عالم شيعي اثني عشري و هو جمال الدين يوسف بن المطهر الحلي 648،726هـ-1250،1325م الذي قدم إلى السلطانية عاصمة أولجايتو و معه جماعة كبيرة من دعاة الشيعة من بلدان مختلفة منها العراق و البحرين و إيران⁽⁶⁾. و قد ساعد وجود ابن المطهر الحلي في

¹ الصياد : مؤرخ الشرق الإسلامي ، ص 373

² ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 5 ، ص 549 ؛ القزاز : نفس المرجع ، ص 301

³ كدرو : المرجع السابق ، ص 169

⁴ القزاز : نفسه

⁵ دونالد ولبر : إيران ماضيها و حاضرها ، ترجمة عبد النعيم حسنين ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، 1985 ، ص 70

⁶ بطروشوفسكي : الإسلام في إيران ، ترجمة السباعي محمد ، ط 6 ، القاهرة ، 2001 ، ص 209

السلطانية على تثبيت أولجايو على مذهب التشيع بفضل نشاطاته المختلفة و المهمة، ومنها :

- مناظرة علماء السنة وكان على رأسهم قاضي قضاة الشافعية صدر الدين عبد الملك ، ولقد تناولت مناظراتهما مسألة الإمامة والخلافة والفروقات في الفقه بين السنة والشيعة⁽¹⁾.

- تأليفه للعديد من الكتب موجهة إلى أولجايو ، وكانت مؤلفاته تهدف إلى تدعيم مذهب الشيعة ويظهر ذلك من عناوينها مثل منهج الكرامة في باب الإمامة ، و كشف المراد في شرح تجربة الاعتقاد ، و تذكرة الفقهاء في فقه الشيعة ، و إيضاح مخالفة السنة . و بعض هذه الكتب ألفها ابن المطهر الحلي في مدينة السلطانية ، و بعضها الآخر في أثناء مرافقته أولجايو في رحلاته⁽²⁾.

- دوره في المدرسة المتنقلة التي أنشأها أولجايو لترافق موكبه في تنقلاته ، و كانت تضم ما يزيد عن مائة طالب علم تم تخصيص مجموعة من المدرسين لهم ، و على رأسهم ابن المطهر الحلي نفسه⁽³⁾. وكان أولجايو يحضر بعض الدروس و التي كانت حول المذهب الشيعي ومقارنته بالمذاهب السنية الأربعة. و سأل مرة جمعا من العلماء فيهم ابن المطهر الحلي : ((إن هذه المذاهب الأربعة المعروفة بالسنة والجماعة إنهم يعتقدون أنهم محقون و مصيبون ، و يعتقدون أن المذاهب الأخرى خاطئة وباطلة فهل هم مصيبون في ذلك. و هؤلاء الأربعة هل هم من جملة الصحابة الكرام الذين أدركوا صحبة الرسول صلى الله عليه و سلم أم إنهم من جملة التابعين. و هل هم الذين جعلوا أنفسهم أئمة أم أن أشخاصا آخرين نصبوهم أئمة))⁽⁴⁾.

¹ القزاز: نفس المرجع ، ص 302

² ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص 219 ؛ مصطفى بدر: مغول إيران بين الوثنية و المسيحية والإسلام ، دار الفكر العربي بيروت ، د.ت ، ص 32

³ الدواداري بيبرس : زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة ، تحقيق زبيدة عطا ، عين للدراسات ، د.ت ، ج 9 ، ص 361: المقريزي : المصدر السابق ، ج 2 ، ص 6

⁴ كدرو : المرجع السابق ، ص 168

و من الواضح أن ابن المطهر الحلي و من كان معه من علماء الشيعة قد بذلوا جهدا في تثبيت أولجايو على التشيع ، كما لعبوا دورا كبيرا في نشر التشيع خارج مراكزه الضيقة في إيران و العراق⁽¹⁾.

ب- زاد اهتمام أولجايو بعد اعتناقه للتشيع بكل ما يتعلق بعقائد الشيعة و خاصة الأئمة الاثني عشر فقد قرر أثناء بدأ بناء مقبرته في السلطانية إحضار رفات الإمام علي بن أبي طالب من النجف ، و رفاة ابنه الحسين من كربلاء ، و رفات باقي الأئمة من العراق و إيران و دفنهم في مقبرته و تحويلها إلى أكبر مزار شيعي⁽²⁾.

ج- أبدى أولجايو اهتماما كبيرا بمشهد الإمام علي الرضا ثامن الأئمة الاثني عشر في مدينة طوس بخراسان و هو من أهم مشاهد الشيعة ، فأعاد بناءه و قد كان تعرض للتدمير و التخريب على أيدي المغول في حملتهم الأولى التي قادها جنكيزخان سنة 617هـ-1220م⁽³⁾.

د- حاول أولجايو فرض التشيع في جميع أرجاء الإيلخانية ، و يبدو أن علماء الشيعة المحيطين به قد دفعوه إلى ذلك⁽⁴⁾ ، فأرسل إلى كل أنحاء إيران و العراق الأوامر بتغيير الخطبة المعتادة لكنها قوبلت بالرفض . فأهل بغداد تصدوا للقرار بالقوة وهددوا خطيب المسجد بالقتل إن هو غير الخطبة المعتادة أو زاد فيها أو أنقص منها ، فخاف الخطيب من القتل و خطب الخطبة المعتادة⁽⁵⁾. و في شيراز تصدى الأهالي لهذا القرار كذلك في سائر المدن الكبرى في قزوین و أصفهان و أربل و هراة فلم تتغير الخطبة⁽⁶⁾.

هـ- تدهور العلاقات بين المغول الإيلخانيين الذين تحولوا إلى التشيع و بين المماليك السنة في مصر والشام ، حيث كان أولجايو قبل تشيعه قد أرسل إلى

¹ نفسه

² كدرو : المرجع السابق ، ص 169

³ العسقلاني ابن حجر شهاب الدين أبو الفضل : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، تحقيق محمد عبد المعيد ضان ، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدرآباد ، الهند ، 1972 ، ج 2 ، ص

71 ، 72

⁴ ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص 187

⁵ نفسه

⁶ الصياد : الشرق الإسلامي ، ص 370

الناصر محمد قلاوون سنة 704هـ في طلب الصلح وتجاوز أسباب العداوة التي كانت بين الدولتين في عهد غازان ، فأجابه الناصر إلى هذا الطلب⁽¹⁾. لكن أولجايتو بعد تشييعه حاصر مدينة الرحبة سنة 712هـ حصاراً شديداً وهي مدينة حدودية بين المغول والمماليك واقعة على نهر الفرات⁽²⁾. لكنه فك الحصار وعاد إلى إيران لمواجهة هجوم شنه مغول ما وراء النهر⁽³⁾.

4- تخلي أولجايتو عن التشيع :

أمضى أولجايتو السبع سنوات الأخيرة من حكمه 709،716-1309،1316م معتنقاً للتشيع ، ثم بدأت مسألة العقيدة المذهبية تخرج من نطاق حياته الخاصة ، وأصبحت تمثل تهديداً للوضع السياسي والاجتماعي في إيران ، وقد سبقت الإشارة إلى رفض وتمرد سكان المدن في إيران والعراق على أوامر أولجايتو بتغيير الخطبة السنوية التي يترضى فيها على الخلفاء الراشدين إلى الخطبة الشيعية ، وقد كان وراء هذا الرفض والتمرد القضية والمشايخ . وبدأت بوادر الفوضى والصدام بين إتباع المذهبين السني والشييعي في الظهور ، ولم يكن بمقدور أولجايتو معاقبة الأهالي في المدن الراضين لأوامره باعتناق التشيع ، وإنما قرر معاقبة القضية ، ثم تخلى عن مذهب التشيع وعاد إلى مذهب السنة والجماعة.

وهناك رواية تبرر عودة أولجايتو إلى مذهب السنة : ((... وكان السلطان قد أمر بأن تسقط أسماء الخلفاء وسائر الصحابة من الخطبة ولا يذكر إلا اسم علي ومن تبعه ... فخاف الخطيب من القتل وخطب الخطبة المعتادة ، وفعل أهل شيراز وأصفهان كفعل أهل بغداد ، فرجعت الرسل إلى الملك (أولجايتو) فأخبروه بما جرى في ذلك ، فأمر أن يؤتى بقضاة المدن الثلاث ، فكان أول من أتى به منهم القاضي

¹ المقرئني : المصدر السابق ، ج 2 ، ص 6

² أبو الفدا : المصدر السابق ، ج 4 ، ص 70

³ وكان من أسباب عودة أولجايتو إلى إيران خروج السلطان الناصر بجيوشه من القاهرة لمحاربة أولجايتو . أبو الفدا : نفس المصدر ، ج 4 ، ص 70 : ابن كثير عماد الدين أبو الفدا : البداية والنهاية ، تحقيق أحمد أبو ملحم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 3 ، 1987 ، ج 4 ، ص 67

مجد الدين قاضي شيراز ، و السلطان إذ ذاك في موضع يعرف بقرباغ⁽¹⁾ ، و هو موضع مصيفه . فلما وصل القاضي أمر أن يرمى به إلى الكلاب التي عنده ، و هي كلاب ضخام في أعناقها السلاسل معدة لأكل بني آدم . فإذا أتى بمن يسلط عليه الكلاب جعل في رحية كبيرة مطلقا غير مقيد، ثم بعثت تلك الكلاب عليه فيفر أمامها و لا مفر له ، فتدركه فتمزقه و تأكل لحمه . فلما أرسلت الكلاب على القاضي مجد الدين و وصلت إليه بصصبت إليه ، و حركت أذناها بين يديه ، و لم تهجم عليه بشيء . فبلغ ذلك السلطان فخرج من داره حافي القدمين ، و أكب على رجلي القاضي يقبلها و أخذ بيده و خلع عليه جميع ما كان عليه من الثياب – و هي أعظم مكرمة السلطان عندهم – و إذا خلع ثيابه على أحد كانت شرفا له و لبنيه و أعقابها يتوارثونه ما دامت تلك الثياب أو شيء منها . و أعظمها في ذلك السراويل . و لما خلع السلطان ثيابه على القاضي مجد الدين ، أخذ بيده و أدخله إلى داره ، و أمر نساءه بتعظيمه و التبرك به ، و رجع السلطان عن مذهب الرفض ، و كتب إلى بلاده أن يقر الناس على مذهب أهل السنة و الجماعة (...)⁽²⁾.

هذه الرواية التي انفرد بها ابن بطوطة ترجع أسباب عودة أولجايتو إلى مذهب السنة إلى كرامة خص بها قاضي شيراز مجد الدين ، و بعيدا عن احتمال صحتها أو احتمال أن السنة وضعوها لصيغ رجوع أولجايتو عن التشيع بصيغة إعجازية ، إلا أنها تخدم أهل السنة و الجماعة في إيران و العراق. و منها يمكن التوصل إلى الاستنتاجات التالية :

- أن أولجايتو استدعى القضاة الذين كانوا وراء رفض الأهالي لتغيير الخطبة المعتادة و التي يذكر فيها الخلفاء الراشدون و الصحابة ، و من بين هؤلاء القضاة قاضي شيراز مجد الدين ، و أن حوارا طويلا قد دار بين أولجايتو و هؤلاء القضاة، و أنهم قاموا بتقبيح مذهب الشيعة له و تنفيره منه ، كما بينوا له مخاطر فرضه

¹ قرباغ : مدينة تقع على بعد إثني و سبعين فرسخا من مدينة السلطانية التي بدأ بناءها أرغون خان و أتمه أولجايتو، واسم قرباغ مركب من كلمتين : (قرا) بالتركية ومعناها أسود ، و (باغ)

بالفارسية ومعناها الحديقة . الصياد: الشرق الإسلامي ، ص 472

² ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص 137

بالقوة على الأغلبية السنية ، و عدم جدوى قمعهم و اضطهادهم الذي قد يجر البلاد إلى الفتنة .

- كما يمكن استنتاج أنه على الرغم من إعتناق أولجايتو للتشيع إلا أن مبادئ وتعاليم هذا المذهب لم تتغلغل في حياته. وقد يدل على ذلك التذبذب الواضح في قناعات أولجايتو الدينية فقد نشأ على المسيحية ثم اعتنق الإسلام على المذهب الحنفي ، ثم فكر في التحول إلى المذهب الشافعي ، ثم اعتنق المذهب الشيعي⁽¹⁾. توفي أولجايتو سنة 716هـ-1316م في رحلة صيد على أطراف مدينة السلطانية بعد معاناته من آلام شديدة في ساقه وعمره ستة و ثلاثون سنة ، ودفن في المدفن الذي بناه في حياته⁽²⁾.

خاتمة :

و من خلال ما سبق يمكن الوصول إلى النتائج التالية :
اعتنق أولجايتو التشيع إلا أنه اتضح أن مبادئ هذا المذهب لم ترسخ في نفسه ، ودل على ذلك التذبذب الواضح في قناعاته الدينية . كما أن المدة التي قضها معتنقا للتشيع أتاحت له التعرف على معتقدات ومبادئ هذا المذهب و التي يبدو أنها لم توافق قناعاته ، فعاد إلى مذهب السنة خاصة بعد أن بدأت بوادر التمرد والعصيان تظهر في المدن الكبرى في الإيلخانية بسبب تحوله إلى التشيع و محاولة حمل الناس عليه في إيران و العراق.

قائمة المصادر والمراجع :

أ- المصادر :

- 1- البديسي شرف خان : شرفنامه ، ترجمة محمد علي عوني ، دار إحياء الكتب العربية ، 1962 ، ج2

¹ البديسي شرف خان : شرفنامه ، ترجمة محمد علي عوني ، دار إحياء الكتب العربية ، د.م ، 1962 ، ج 2 ، ص 21

² المقرئزي : المصدر السابق ، ج 2 ، ص 59 : أشتياني : المرجع السابق ، ص 322 : الصياد : مؤرخ المغول : ص 170

- 2- ابن بطوطة ابو عبد الله محمد بن إبراهيم : تحفة النظائر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، دار النفائس ، بيروت ، ط 1 ، 1997
- 3- بيبرس الدواداري : زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة ، تحقيق زبيدة عطا ، عين للدراسات ، ج 9 ، د.ت
- 4- ابن تغري بردي جمال الدين أبو المحاسن : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ج 9
- 5- الحموي شاب الدين أبو عبد الله : معجم البلدان ، تحقيق فريد الجندي ، دار الكتب العلمية، بيروت ، 1990 ، ج 3
- 6 - ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد : العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 1992 ، ج 5
- 7- العسقلاني ابن حجر شهاب الدين أبو الفضل : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، تحقيق محمد عبد المعيد ضهان ، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، صيدآباد ، الهند ، 1972، ج 2
- 8- أبو الفدا إسماعيل عماد الدين بن الأفضل : المختصر في أخبار البشر ، مج 2، ج 4 ، دار المعرفة ، بيروت ، د.ت
- 9- ابن كثير عماد الدين أبو الفدا : البداية والنهاية ، تحقيق احمد أبو ملح ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 3 ، 1987 ، ج 4
- 10- المقرئ تقي الدين أحمد بن علي : السلوك لمعرفة دول الملوك ، نشر محمد مصطفى زيادة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، 1939 ، ج 1
- 11- الهمداني :جامع التواريخ ، ترجمة صادق نشأت و فؤاد الصياد ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، د.ت
- 12- الهمداني : تاريخ غازان خان ، ترجمة فؤاد الصياد ، الدار الثقافية للنشر ، القاهرة ، ط 1 ، 2000

ب- المراجع :

- 1- أشتياني عباس إقبال: تاريخ المغول منذ حملة جنكيزخان حتى قيام الدولة التيمورية ، ترجمة عبد الوهاب علوب ، القاهرة ، 2000
- 2- بطروشوفسكي : الإسلام في إيران ، ترجمة السباعي محمد ، ط 6 ، القاهرة ، 2001
- 3- دونالد ولبر : إيران ماضيها وحاضرها ، ترجمة عبد النعيم حسنين ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، 1985
- 4- الصياد فؤاد عبد المعطي : مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمداني ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1967
- 5- الصياد فؤاد عبد المعطي : الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين ، أسرة هولكو ، الدوحة ، 1987

-
- 6- فهمي عبد السلام: الدولة المغولية في إيران ، دار المعارف ، القاهرة، 1981
- 7- القزاز محمد صالح داوود : الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية ، بغداد ، 1970
- 8- كدرو أسعد: موقف المغول الإيلخانيين من العقائد و المذاهب الدينية من وفاة هولاكو إلى نهاية حكم أبي سعيد بهادر خان 736-663هـ/1265-1335م ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، 2009